



عندما تتألاً قطرات الدمع من تلك العيون البراقة تكون قد بلغت ما بلغت من حرقة الألم والأسى وقد تقاذفتها الأهوال وضربتها المحن فتتهطل قطرات الدمع ساخنة كالجمر لتحرق ذاك الوجه الحزين وترسم عليه تلك الأخاديد المحترقة ...
نعم إن الدمع لن يغير من الواقع شيئاً لكن قد يكون العزاء الوحيد في لحظات القهر والضعف.

كم شاهدت هذا المنظر في بلادي مؤخراً و كم لاحظت تلك الأخاديد قد حفرتها مجرى مملتها لها على وجوه أخواتي كم تأملت وجوههن بتلك الابتسامة الصفراء التي تخفي خلفها مآسي الأهوال التي مرت أمام هذه المقل تبسم أمامي قائلة الحمد لله بصوت تخنقه دمة تحاول منعها من أن تنهمر.

نظرت إلي أسماء بثغر مبتسم ومقلتين لامعتان بالدمع وقالت سوف تنتصر، بعون الله سوف تنتصر...
كاد قلبي ينفطر أسى على الفتاة ذات العشرين ربيعاً تنظر إلي نظرة تنطق بما فيها كفكت دموعها وقالت مبتسمة لا أعلم ماذا دخل بعيني قالت هذا مع أنني لم أسالها عن دمعها نظرت إلي وجهها وقد اختلطت فيه تعابير الحزن مع محاولة إخفائها للدمع وابتسامة بالكاد تتمكن من إظهارها فقلت لها وقد خانتني عينايا فلم أمسك دمعتي ...

نعم أختاه سننتصر إن شاء الله .

تكرر يومياً مثل هذه المواقف في بلادي وأكثر ما يربكني نظرة من امرأة مسنة فقدت ابنها وهي واقفة تخاطبني بكلام الواصل بنصر قريب من الله دون أن يرتجف لها جفن وتعطني بعضاً من النصائح التي يحفرها صوتها وتعابير وجهها في مخيلتي فلا أكاد أنسى تلك النصائح ما حييت وانظر لنفسني فاشعر بقزم ما أفعل وقلة ما أقدم وأعلم حينها أنني مهما فعلت وعملت فلن أصل إلى معشار تلك المسنة فإنها تمتلك من الصبر والجلد الذي من الله بهما عليها الكثير.
وغالباً ما أودعها وأستدير وأنا أحس بقوة كبيرة تدخل لذاتي تدفعني للمضي أكثر في دروب الجهاد.